**خطبة طوبى لمن اتصف بالعبودية لله**

الخطيب/ مسير ماطر الظفيري

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « **تَعِسَ عبدُ الدينارِ، وعبدُ الدرهمِ، وعبدُ الخميصةِ، إن أُعْطِي رَضِيَ، وإن لم يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وانتكسَ، وإذا شيكَ فلا انتقشَ، طوبى لعبدٍ آخذٍ بعنانِ فرسِهِ في سبيلِ اللهِ، أشعثَ رأسُهُ، مغبرَّةً قدماهُ، إن كان في الحراسةِ كان في الحراسةِ، وإن كان في الساقةِ كان في الساقةِ، إن استأذنَ لم يُؤْذَنْ لهُ، وإن شَفَعَ لم يُشَفَّعْ** ». رواه البخاري 2887.

إن أَشقَى النَّاسِ أيها الأحباب الكرام مَنِ اتَّخَذ إلهَه هواه وشَهوتَه، فيكونُ عملُه كلُّه لِتحصيلِ هذه الشَّهوةِ وطلبِها؛ فهو تاركٌ لِمَا خُلِقَ لأجْلِه وهو عِبادةُ اللهِ عز وجل، مُتمسِّكٌ بِتحصيلِ شهواتِه بغيرِ رِضا اللهِ تعالى، فهو مضيِّعٌ لِآخرتِه بِدُنياه؛ ولذلك دَعا عليه النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم في هذا الحديثِ، فقال: «**تَعِسَ عبدُ الدِّينارِ، وعبدُ الدِّرهمِ، وعبدُ الخَمِيصةِ** » يعني: عَثُرَ وسقَطَ على وجْهِه، والخَمِيصةُ: الثوب من الصوف أو الحرير، «**إنْ أُعطِيَ رَضِيَ، وإنْ لم يُعطَ سَخِطَ**» إنْ أُعطِيَ مُرادَه مِنَ المالِ واللَّذَّاتِ رَضِيَ عَنِ اللهِ تعالى، وإنْ مُنِعَ كان ساخطًا غاضبًا والعياذ بالله، «**تَعِسَ وانْتَكسَ، وإذا شِيكَ فلا انْتُقِشَ**» أي: تَعِسَ وانقلبَ على رأسِه، وهو دُعاءٌ عليه بِالخيبِة والخسرانِ، وإذا أصابتْه شوكةٌ فَلا قَدَرَ على إخراجِها بِالمِنقاشِ، ولا خَرجَتْ، وهي دعوة من النبي صلى الله عليه وسلم بأنَّه إذا أُصيبَ بِأقلِّ أذًى لا يَجِدُ مُعينًا على الخَلاصِ منه، والمراد بالعبودية هنا: التعلق الشديد بهذه بالأمور حتى تملك قلب الإنسان، وتستولى عليه، وحتى يصل إلى الوصف الذي ذكره النبي -صلى الله عليه وسلم- بقوله: «**إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ**»، فكان كالعبد لهذه الأشياء، فهي قد ملكت قلبه وفكره، وأصبحت شغله الشاغل، وذَلَّ لها؛ بحيث يكون رضاه وغضبُه تبعًا لحصولها وعدمها، وليس المقصود بالعبودية أن الإنسان يسجد لها ويركع لها، فبعض الناس عبد لهواه، جعل إلهه هواه؛ إذا هوت نفسه الشيء طاوعها، لا ينهى نفسه عن شيء، **أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا** الفرقان43، أيضًا الشيطان قد يتخذه الإنسان إلهًا؛ ويكون عبدًا له؛ كما قال تعالى: **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ** يس60، هل معنى أنه يعبد الشيطان أنه يسجد له، ويركع له؟ لا، وإنما المعنى: أنه يطيعه في كل شيء، فقد جعل الشيطان إلهًا له، وأصبح عبدًا للشيطان. (شرح د.سعد الخثلان بتصرف).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إني بليت بأربع مــــــــــــــــــــــــــــــا سلطت | \*\*\* | إلا لأجل شقاوتي وعنـــــــــــــــــــــائي |
| إبليس والدنيا ونفسي والهـــــــــــــــــوى | \*\*\* | كيف الخلاص وكلهم أعـــدائي |
| إبليس يسلك في طريق مهـــــالكي | \*\*\* | والنفس تأمرني بكــــــــــــــــــل بلائي |
| وأرى الهوى تدعو إليه خواطــــــــري | \*\*\* | في ظلمة الشبهـــــــــــــــــــات والآراء |
| وزخارف الدنيا تقول أمــــــــــــــــا ترى | \*\*\* | حسني وفخر ملابسي وبهـــائي |

ثُمَّ أَثنى صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على العبدِ التَّقيِّ الخفيِّ المجاهدِ، فقال: «**طُوبى لِعبدٍ آخِذٍ بِعنانِ فرسِه في سبيلِ اللهِ**»، أي: مُنطَلقٍ بِفرسِه آخذٍ بلِجامِه في سبيلِ اللهِ، و«**طوبى**» كلِّ شيءٍ طيِّب، وقيل: هي اسمٌ لِلجنَّةِ، وقيل: شَجرةٌ فيها؛ فيكون المرادُ الدُّعاءَ له بالجَنَّةِ؛ لأنَّ طُوبَى أَشهرُ شَجرِها وأطيبُه، و«**أَشْعَثَ رَأْسُه**»، أي: مُتفرِّقِ الشَّعرِ غيرَ مُسرَّحٍ، «**مُغبرَّةٍ قَدَماه**» بِالتُّرابِ، «**إنْ كان في الحِراسةِ كان في الحِراسةِ، وإنْ كان في السَّاقةِ كان في السَّاقةِ**» يعني: إنْ أُقيمِ في مُتقدَّمِ الجيشِ لِحراستِه رَضِيَ، وإنْ أُقيمَ في السَّاقةِ، وهي مُؤخِّرةُ الجيشِ رضِي، ولا يَضرُّه شيءٌ مِن ذلك مُبتغيًا الأجرَ مِنَ اللهِ تعالى، «**إنِ استأذَنَ لم يؤذنْ له، وإنْ شَفعَ لم يُشفَّعْ**»، أي: هو خامِلُ الذِّكر ِليس له مكانةٌ بَيْنَ النَّاسِ، فإنِ استأذَنَ لم يُؤذنْ له، وإنْ شَفَعَ في أحدٍ لم تُقبلْ شَفاعتُه؛ لأنَّهُ غيرُ معروفٍ بينهم، ولكنْ قَدْرُه عندَ اللهِ كبيرٌ، وأجرُه عند اللهِ محفوظٌ. أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه...

**الخطبة الثانية**

إن من فوائد هذا الحديث العظيم أيها الأحباب الكرام أن التعلق بالدنيا مذموم، ولا يليق بالمسلم أن يجعل الدنيا أكبر همه، ومبلغ علمه، ويرضى إن أُعطِي منها، ويسخط إن لم يُعطَ؛ فإن الله تعالى ذم من هذه صفته، فقال: **وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ** التوبة: 58، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم مِن الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، قال:«و**رَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لاَ يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، إِنْ أَعْطِي مِنْهَا رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ مِنْهَا سَخِطَ**» رواه البخاري ومسلم.

ومن كانت الدنيا أكبر همه يرضى بحصولها، ويغضب لفواتها فإنه خاسر والعياذ بالله؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «**تَعِسَ عَبْدُ اَلدِّينَارِ، وتَعِسَ عبْدُ الدِّرْهَمِ**»، وقول الله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا** **تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** المنافقون: 9، والمنهي عنه هو التعلق بالدنيا، وليس الحصول على الدنيا مع عدم التعلق بها؛ فإن الحصول على الدنيا وجعل الدنيا في يد الإنسان لا في قلبه ليس بأمرٍ مذمومٍ شرعًا؛ ولهذا ورد الثناء على الغني الشاكر، وأنه كالفقير الصابر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ا**لغَنِيّ الشَّاكِرُ مِثْلُ الفَقيرِ الصَّابِر**» رواه البخاري معلِّقا له بصيغه الجزم، وسئل ابن تيمية رحمه الله أيهما أفضل؟ الغنى الشاكر أم الفقير الصابر؟ فقال: أتقاهما لله، فالغالب على الإنسان مع الغِنَى الطغيان، فإذا اتقى الله عز وجل هذا الغني كان أجره عظيمًا وثوابه جزيلًا، مع أنه حصل على الدنيا، لكنه جعل الدنيا في يده لا في قلبه، والنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لاَ حَسَدَ** -يعني: لا غبطة- **إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسلَّطَه عَلَى هَلَكَتِهِ** -يعني: إنفاقه- **فِي الحَقِّ، ورَجُلٌ آتاه اللهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَقومُ به آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ**» رواه البخاري ومسلم.

ويجب أن يكون رضا المسلم فيما يُرضي الله عز وجل، وسخَطه فيما يسخط الله عز وجل، لا أن يجعل الدنيا هي معيار السخط والرضا، فإن أُعطي منها رضي، وإن لم يُعطَ منها سخط.

ولا يكن منهج الإنسان:

وعينُ الرِّضا عن كلَّ عيبٍ كليلة \*\*\* وَلَكِنَّ عَينَ السُّخْطِ تُبْدي المَسَاوِيَا (الشافعي)

بل يرضينا ما يرضي الرحمن سبحانه ويسخطنا ما يسخطه جل وعلا هذا هو المنهج المستقيم.